

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة في المسجد الحرام بمكة المكرمة

لفضيلة الشيخ : صالح بن عبد الله بن حميد

بتاريخ : ٢١ - ١٢ - ١٤٢١هـ

والتي تحدث فيها فضيلته عن : قبلة المسلمين

الحمد لله خلق خلقه أطوارا، وصرفهم كيف شاء سبحانه عزّة واقتدارا، أنزل عليهم كتبه، وأرسل إليهم رسوله إذارا وإنذارا، أحمد ربي وأستغفره إنه كان غفارا، وأثني عليه بما هو أهله وأشكره، أسبغ علينا نعمه مدرارا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو الله وقارا، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، نصب به الدليل وأنار به السبيل؛ فتبدلت الظلمات أنوارا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا على الهدى أعلاما وعلى الحق منارا، رضي الله عنهم وأرضاهم مهاجرين وأنصارا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما أعقب ليل نهاراً، أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله ﷻ فعليكم بتقوى الله فالزموها، وبادروا بالأعمال الصالحة والتزموها، الزمان يطوي مديد الأعمار، وكل من عليها راحل عن هذه الدار، التسوييف لا يورث إلا حسرة وندما، وطول العمر لا يُعقب إلا هрма وسقما، فواعجباً لنفوس طال على الدنيا إقبالها وغلظ عن الآخرة إعراضها وإهمالها ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾.

أيها المسلمون، لقد ولّى الحجاج وجوههم شطر ديارهم، تقبل الله منا ومنهم، وجعل حجهم مبرورا وسعيهم مشكورا وذنبهم مغفورا وبلغهم أهلهم وديارهم سالمين غانمين وأعادهم من سوء المنقلب في المال والأهل. ولكن حين ولّوا وجوههم شطر بلادهم، هل انقطع ارتباطهم بالبيت الحرام؟ إنهم لن يزلوا مع إخوانهم المسلمين أجمعين يولّون وجوههم شطر المسجد الحرام ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾.

معاشر المسلمين، جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، وجعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس. ارتباط المسلم ببيت الله وبالقبلة ليس مقصورا على أشهر معلومات ولا محصورا في أيام معدودات، ولكنه ارتباط دائم وشائج لا تنقطع. المسلم يبدأ يومه ويستفتح عمله كما يختم نشاطه بالتوجه إلي البيت الحرام حين يقف بين يدي ربه قائماً يؤدي الصلوات الخمس موزعةً بانتظام في يومه وليلته، ينتظم مع إخوانه المسلمين حيثما كانت مواقعهم وأينما كانت ديارهم، ناهيكم بالنوافل والأدعية والأذكار التي يُشرع فيها استقبال البيت الحرام، فهذه صور وهيئات لا حصر لها يتفاوت فيها المسلمون ويتنافس فيها الصالحون، بيت الله المحرم هو الوجهة الدائمة

التي ترافق العبد المؤمن في كل حياته، ليس مرتبطاً بموسم ولا محصوراً في فريضة، بل حتى حين يوسد في قبره دفيناً فإنه يوجهه إلى البيت الحرام فهي قبلتكم أحياءً وأمواتاً.

تأملوا حفظكم الله هذه الآيات الثلاث: قول الله ﷻ: ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ وتأملوا قوله سبحانه: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ الآية

يا ترى، ما هو السرُّ في التكرار لمعظم هذه الكلمات في هذه الآيات؟ أمر النبي ﷺ باستقبال البيت في هذه الآيات ثلاث مرات، وأمر المسلمون مرتين، وتكرر قوله سبحانه ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ ثلاث مرات، وتكرر تعميم الجهات ثلاث مرات. ما ذلك كله إلا لتأكيد عظم هذا التوجه والتوجه بشأن استقبال الكعبة المعظمة والتحذير من تطرق التساهل في ذلك تقريراً للحق في نفوس المسلمين ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾. أيها المسلمون، إن أبعاداً كثيرة لهذا التوجه قد غابت عن حياة كثير من المسلمين اليوم فأصبح الأمر عندهم أقرب للعادة منه للعبادة.

- إن تولية الوجوه نحو البيت تقتضي الحضور الدائم لمعاني الولاء والموالاة ومعاني الصلاة والحج وأسرارهما، وكل عبادة مرتبطة باستقبال هذا البيت المعظم.
- يُؤلّي المسلم وجهه شطر المسجد الحرام ليسير مع التاريخ بماضيه ويستصحبه في حاضره ليتذكر تاريخ البيت وبناء البيت على التوحيد الخالص والملة الإبراهيمية الحنيفية.
- يُؤلّي وجهه شطر البيت ليرى كيف هدّ الإسلام بنيان الجاهلية وقواعدها.
- يُؤلّي وجهه شطر الكعبة المشرفة ليتذكر ألوان العذاب التي لقيها المسلمون المستضعفون في ظلها وعلى جنباتها، والنبي ﷺ يقول لهم مطمئناً ومثبتاً ومؤكداً " والله ليتّمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون " إنه النصر الذي لا بد أن يتم بإذن الله من خلال صحيح الإيمان وعزمات البشر، والخضوع للسنن الإلهية في النصر والهزيمة ولكنّ قوماً يستعجلون.
- الجالس قبال بيت الله يدرك حكمة الدعوة وتربية الناس في مثل قوله ﷺ: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه " مخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ، وفي مثل قوله ﷺ: " لولا أن قومك حدثاء بالكفر لנקضت البيت ثم بنيت على قواعد إبراهيم " أخرجه البخاري وغيره.
- كل هذه الإستحضارات والتأملات من أجل أن لا يُكذّب الله ورسوله، ومن أجل أن تُسلك مسالك الحكمة في الدعوة والفقهاء والتعليم والتربية.

أيها المسلمون، وحكمة أخرى تتجلى حين التأمل في التوجه نحو بيت الله المحرم واستقباله:

• ذلكم أن المقصود بالعبادات كلها تمام الخضوع لله ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾. وبمقدار استحضار المعبود وعظمته وجلاله يقرب العبد من مرتبة الإحسان، فالإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه) فكان التوجه إلى المسجد الحرام وإلى القبلة مساعدة على هذا الإستحضار العظيم.

العبادات والشعائر لا تؤدي بالنية المجردة ولا بالتوجه القلبي والروحي وحدهما، ولكن هذه العبادات لها صفاتها وهيئاتها من القيام والقعود والركوع والسجود والأقوال والأفعال والإتجاه نحو القبلة، وكذلك الإحرام والطواف والحركة والسعي والدعاء والتلبية والنحر والرمي والحلق والتقصير وهكذا: **في كل عبادة حركة وفي كل حركة عبادة**، عبادات تجمع بين الماديات والمعنويات ليتأكد الارتباط بين ظاهر النفس وباطنها.

إن ثمة رغبة فطرية بشرية للربط بين الأشكال الظاهرة والقوة الباطنة، فانحرفت فئات من البشر فعبدوا الأحجار والأشجار والحيوان والشمس والقمر والأفلاك، وجاء الإسلام يلبي دواعي الفطرة؛ فشرع من الأقوال والأفعال والحركات، مع تجريد كل ذلك لله وحده، فيتوجه العبد بجسده إلى القبلة والكعبة ويؤتي وجهه شطر المسجد الحرام، ولكنه في ذات الوقت يتوجه إلى الله بكلية قلبه وجوارحه ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾

﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ إن المسلمين حين يتجهون إلى القبلة فإنما يتوجهون نحو **التميز والإختصاص**، فالقبلة رمز للوحدة والتوحيد، ورمز لتمييز الشخص المسلم، وحد الله هذه الأمة في ربها ونيبها ودينها وقبلتها، وحدها على اختلاف أوطانها وأجناسها وألوانها ولغاتها، وحدة قيامها العقيدة والقبلة: عقيدة القلب وقبلة العبادة. ولقد جاء في الحديث الصحيح "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فذلك المسلم" مخرج في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه.

أمة وسط في الدين والاعتقاد لا تغلوا في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، ولكنها الفطرة في روح متلبسة بجسد وجسد تتلبس به روح، وتطلق كل نشاط في تهذيب بلا إفراط ولا تفريط، قصد وتناسق واعتدال ومن أجل هذا جاء في هذا السياق كله قول الله سبحانه ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ ما جاءنا من ربنا هو الحق، والدين الذي نحن عليه هو الحق، فلا نستفتي أحداً في ديننا ولا نتبع غير أهل ملتنا في شأننا، ولا نقبل من أعدائنا القول في تاريخنا وتراثنا ولا نسمع إليهم في دراساتهم عن قرآننا وحديث نبينا، إنه الجد الصارم والحق الجلي الذي تضمحل أمامه الأفاويل والأباطيل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ كما أرسلنا فيكم رسول منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴿ فاذكروني أشكروا لي ولا تكفرون ﴾ نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي محمد ﷺ، وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أعطى فأجزل ومنّ فأفضل، أحمده سبحانه وأشكره، أتمّ علينا النعمة ورضي لنا الدين وأكمل، وأتوب إليه واستغفره من التقصير فيما أقول وأعمل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الظاهر والباطن والآخر والأول وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبد الله ورسوله صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر والخلق الأفضل صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما ليل أدبر وصبح أقبل وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فيا أيها المسلمون، يُؤلي المسلمون وجوههم شطر المسجد الحرام ليبرز من خلال ذلك وحدة المسلمين وجماعتهم، التقافاً حول هذا البيت من خلال عمود الإسلام الصلاة المفروضة، والتي تبدأ بأهل الحي وتنتهي بالتجمع الأعظم يوم الحج الأكبر، صلاة الجماعة قاعدة وأساس، وصلاة الفرد فذٌّ واستثناء، جاء في الحديث في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم "صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وكلما كثر فهو أحب إلى الله" أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد حسن.

المؤذن للصلاة هو داعي الجماعة "أتسمع النداء؟ قال: نعم، قال: أجبه لا أجد لك رخصة" وصلاة الجمعة صورة ليس لها نظير في تجمع يجمع على الصلاة والموعظة والنصيحة ومعالجة القضايا؛ ليتأكد استمرار الجماعة على الجادة الراشدة. وشعائر العيدين تجمع مشهود يحضره الرجال والنساء حتى ربات الخدور، جماعة وبهجة في ظلّ الالتزام بخلق الإسلام، ويأتي التجمع الأخطر والاحتفاء الأكبر حين يُؤذن في الناس بالحج

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ تجمع عظيم لا يعوقه اختلاف الألسنة والألوان ولا تشعب الأعراق وتباعد الأوطان، فعقيدة الإسلام في سهولتها وفطرتها وحنيفيتها. وقبله المسلمين في قداستها تؤكد هذا الرباط الوثيق من الأخوة والود لينطقوا جميعاً بلسان عربي مبين (لبيك اللهم لبيك) إنهم جميعاً في موقف العبودية لله وحده ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واعرفوا نعمة الله عليكم في دينكم وعباداتكم ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾ ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة؛ نيكم محمد رسول الله فقد أمركم بذلك ربكم فقال عز قائلاً عليماً ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم بعفوك وإحسانك وجودك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين واحم حوزة الدين واقتل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الدين، الله انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحين، الله آمناً في أوطاننا واحفظ أئمتنا وولاءة أمورنا، وأيد بالحق والتوفيق والتسديد إمامنا وولي أمرنا، وارزقه البطانة الصالحة ووقفه لما تحب وترضى وأعز به دينك وأعلي به كلمتك، واجعله نصرة

للإسلام والمسلمين واجمع به كلمتهم على الحق يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك وبسنة نبيك محمد ﷺ، واجعلهم رحمة لعبادك المؤمنين، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين، اللهم وأبرم لأمة الإسلام أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنك على كل شيء قدير. اللهم انصر المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك لإعزاز دينك وإعلاء كلمتك، الله انصرهم في فلسطين وفي كشمير وفي الشيشان وفي كل مكان يا رب العالمين. اللهم عليك باليهود فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك باليهود فإنهم لا يعجزونك، اللهم فرق جمعهم وشتت شاملهم واجعل بأسهم بينهم وأنزل عليهم رجزك و غضبك إله الحق. اللهم انصر إخواننا عليهم اللهم سدد سهامهم وآراءهم، اللهم سدد سهامهم وآراءهم وأنزل عليهم نصرك وتأييدك، اللهم واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا؛ فأرسل السماء علينا مدرارا، اللهم واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغنا إلى حين، اللهم وأنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركاتك يا رب العالمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم ارفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين. ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.